

اما الأساور فليس في الرسوم الجدارية الأموية الا الانواع البسيطة الخالية من أي ضرب من ضروب الزخرفة.

وننتقل اخيرا الى الدعاليج التي كانت تثبت في العضد، فهناك من الاشارات التاريخية ما يدل بوضوح إلى أنها كانت من حلي النساء المفضلة عصرنة). غير انه ليس في الرسوم الجدارية والتمائيل الجصية التي ترجع الى العصر سوى دمالج من النوع البسيط الغفل من الزخرفة.

الحلي في العصر العباسي

يعتبر العصر العباسي عصر الرخاء والترف من جميع جوانبه اذ لم تكد الدولة العباسية تنتقل بعاصمتها من الكوفة الى بغداد التي شيدها الخليفة المنصور بين عامي ١٤٥ - ١٤٩ هجرية (٧٦٢ - ٧٦٦م) حتى اقبل الناس عليها من كل حذب وصوب. فتكاثفت فيها مساعي رجال المال والاعمال مع الدولة في القامة الاسواق العامة والأسواق المتخصصة كما تضافرت الجهود والايدي لتوسيع تلك الاسواق وزيادة عددها عندما نشطت حركة الاسواق وبانت لا تسد حاجة الجماهير (١) فلم يمض على بناء بغداد نصف قرن من الزمن حتى احتلت المقام الاولى في العالم قاطبة في الثروة والرخاء والعلم والأدب كل ذلك ادى الى نشاط وازدهار الحركة التجارية فيها حتى قيل انه ولم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة امرها وكثرة علمائها واعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم اقطارها واطرارها وكثرة دورها ومنازلها وشعوبها ومحلاتها واسواقها) ومما لا شك فيه ان الرخاء والرفاء الذي عاشته بغداد والمدن العربية الكبرى الأخرى في ظل حكم بني العباس كان فاتحة لنشر حياة الترف في المجتمع العربي ككل...

لقد مال الكثير من المسلمين في العصر العباسي إلى البلبخ في مظاهر حياتهم العامة والخاصة وعرف في قصور الخلفاء والأمراء والطبقة الغنية بشكل خاص. كما عرفته العامة ايضا فازدادت القوة الشرائية ومن ثم ازداد النشاط التجاري وحركة الاسواق ولنستدل على ذلك نشير إلى الحفلات الكبرى التي كانت تقوم في امهات المدن العباسية من حين لآخر منها الاحتفالات الرسمية لتنصيب الخلفاء الجدد واقامة اعراس الخلفاء والامراء ومواكب الحج ثم احتفالات الختان كل ذلك يدل على ان هذا العصر كان عصر بذخ واغراق في النعيم والترف. ومن الاحتفالات المشهودة في تاريخ الدولة العباسية زفاف الخليفة عرون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ ٧٨٦ - ٢٨٠٩) على زبيدة والتي تعتبر بحق من اعظم الاحتفالات لكثرة ما وهب فيها من اموال والتي قدرت بحوالي خمس ولحسين مليوناً من الدراهم كذلك زفاف الخليفة المأمون على بوران والذي قدر ما صرف فيه بحوالي اربعين مليون درهم. ويذكر الخطيب البغدادي في هذا الشأن ان سيدات المجتمع العباسي اللواتي حضرن تلك الحفلة جلين الانتباه بفخامة ملابسهن وزينتهن وحليهن (١) كما قدم لنا الخليفة المتوكل على الله

(٢٣٢ - ٢٤٧ هـ ٤٧ - (٨٦١) النموذجاً جيداً للبذخ في حفلة ختان ابنه المعتر بالله حيث
احصيت نفقات الختان فبلغت منا وثمانين مليون درهم وبلغت نفقات زواج قطر الندى ابنة
خارويه امير مصر من الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ ٨٩٢ م ٩٠٢م أكثر من عشرين
مليون دينار

ولم تكن مظاهر الترف والانصراف إلى الزينة مقتصرة على الطبقة العليا في المجتمع
العباسي، إذ ان العامة من الناس اخذت في التماس وجوه الصرف والبذخ، فصار الناس
يتقنون في تناول ما لذ وطاب من الوان الطعام ويطلبون الجديد في اللباس ويعرطون في
استخدام الزينة فكان من جملة ذلك ان اقبلت النساء اقبالا عظيمها على التزيين بمختلف
اشكاله واقتناء الحلي بمختلف انواعه

ففي باب التزيين نجد ان المرأة العباسية قد قطعت شوطاً متقدماً جداً
فاستخدمت جميع انواعه بما في ذلك الانواع التي باتت مكروهة في الاسلام كالوشم حيث
نجد ان الاشارات الى الاستعانة به تتكرر في المدونات التاريخية التي تناولت الجانب
الحضاري والاجتماعي للعصر العباسي. وبما يدعم ذلك ان الوشم يظهر في بعض
المصورات الجدارية التي ترجع الى تلك الحقبة الزمنية، منها في رسوم سيدات اكتشفت
ضمن المصورات الجدارية في بعض قصور سامراء، وكذلك في كثير من رسوم النساء
الممثلة في تراويق المخطوطات او في الخزف.

فمن دراسة تلك المصورات مع الاستعانة بما قاله الشعراء العباسيون والنصوص التاريخية
المتفرقة يتضح لنا ان الوشم في العصر العباسي كان قد اتخذ اشكالا مختلفة ومتطورة
بالنسبة لما كان عليه في العصر الأموي. فتجده يتخذ صوراً زخرفية متنوعة منها الهندسية
في شكل نقاط وخطوط ودوائر، ومنها نباتية في شكل أوراق أو تفرعات مختلفة. لقد
استخدم الوشم في العصر العباسي في تجميل الوجنتين شكل (١٥٤)، والجبهة وبين
الحاجبين والرقبة، كذلك البطن والظهر والساق والقدم ثم راحة اليد وظاهرها واخيراً
المعصم.

ومن ضروب التزيين التي أولتها المرأة العربية في العصر العباسي الاهتمام الأكبر تصفيفات
الشعر والتي وصلتنا منها عشرات النماذج سواء تلك الممثلة في الرسوم الجدارية او في
تراويق المخطوطات او على التحف الاثرية المختلفة مثل الخزف والتحف المعدنية والعاجية
والمنحوتات الحجرية.

ففي رسوم سامراء الجدارية، والتي تعتبر اقدم ما وصلنا منها من العصر العباسي تصفيفات
متنوعة منها تصفيفة يتكور فيها الشعر خلف الرأس في حين ان شعر الصديخين قد لوي في
شكل حلزوني اشبه بحرف النون او شوكة العقرب شكل (١٥٥)، يقول في ذلك ابو نواس
ومن الاصداع المعقربة ما يهبط الى قرب الذقن. ومن النماذج الجيدة على ذلك ما تلاحظه
في منمنمة من منمنات مخطوطة كتاب (صور) الكواكب الثابتة للفلكي عبد الرحمن بن عمر
الصوفي شكل ١٥٦). ويذكرنا هذان الصداغان المعقربان ببيت شعر لابي نواس

ومن الاصداغ ما يتدلى الى الاسفل بشكل عنقودي، أي جعل شعر الصدغين في خصل صغيرة ملفوفة. ومن البديهي أن الحصول على هذا الضرب من الاصداغ لا يتم الا بطريقة لف الشعر وشده لبضع ساعات على قطع اسطوانية من الخشب الصقيل او ما شابه ثم يطلق بعدئذ. وهذه طريقة في تصفيف الشعر لا تزال تستعين بها المرأة حتى يومنا هذا في كل مكان (شكل ١٥٧). ونحن لا نتفق مع ما ذهبت اليه باحثة حديثة بأنه كان يتم الحصول على الأصداغ العنقودية عن طريق التجعيد الاصطناعي (١) .

ومن تصفيفات الشعر الأخرى التي عرفت المرأة في العصر العباسي اخذ خصلتين كبيرتين من الشعر في كل جانب من جانبي الرأس ثم لي الخصلتين المتقدمتين الى الجهة الامامية ليشكلان صدغين حلزוניين، ثم لي الخصلتين المتأخرتين الى الجهة الخلفية بوضعية معكوسة، أما البقية الباقية من الشعر فيطلق لينحدر على الظهر بشكله الطبيعي شكل (١٥٨)

ويلاحظ في بعض التصفيفات ان الشعر ينحدر من تحت عمامة صغيرة او قلنسوة ليلاصق الكتفين وفي الوقت نفسه يجعل في قسمين كل قسم منه اشبه بالبلطة نتيجة دبب واضح مع انحناء في طرفيه ومن التصفيفات المهمة الأخرى جعل شعر مقدمة الرأس في خصلتين متساويتين في الطول ثم يلويان لتثبت نهايتهما في مقدمة الرأس تعلوها قلنسوة. وهذه بلا شك من الابتكارات الجميلة والغريبة في تصفيفات الشعر.

ولا شك ان ابسط انواع تصفيفات الشعر واكثرها انتشارا في العصر العباسي هي جعل الشعر في ضفائر والتي تختلف في الطول من سيدة الى الحرى فمن الضفائر الغليظة والطويلة ما نلاحظها في المصورة الجدارية لراقصتي سامراء الشهيرتين والتي كشفت عنها معاول الحفائر الأثرية التي قامت بها البعثة التنقيبية الألمانية في قسم الحريم من خرائب الجوسق الخاقاني في سامراء (شكل ١٦٠). ومن الضفائر ما هو أشبه بذنب الأفعى. ومن الأمثلة على هذا النوع من الضفائر ما نلمسه في متمعة من منمنمات مخطوطة (صورة الكواكب الثابتة للصوفي المحفوظة في مكتبة (بودليان) بأكسفورد في انكلترا والمؤرخة في سنة ٤٠٠ هجرية / ١٠٠٩ م (شكل ١٦١). أو ما تلاحظه في مصورة على صحن من الخزف ذي البريق المعدني يرجع في تاريخه الى العصر العباسي الأخير (شكل ١٦٢).

اما بالنسبة إلى الحلي فقد عرفت المرأة في العصر العباسي ضروبا متنوعة منها. ولا شك ان الغنى والترف والحضارة وتشجيع الخلفاء انفسهم قد ساعد الى درجة كبيرة اقبال المرأة على اقتناء واستخدام الحلي في زينتها الذي يصل في بعض الاحيان الى حد الافراط ومثال على ذلك ما تشير به المصادر التاريخية العربية القديمة ان (شجاع) ام المتوكل على الله (٢٣٢) - ٨٤٧ - ٨٢٤٧ م كانت قد تركت من الحلي والجواهر ما قيمته مليون دينار (١). كما ان ما خلفته (قبيحة) زوجة المتوكل وام المعتز (٢٥١-٢٥٥ هـ - ٨٦٦ - ٨٦٩ م) من الحلي قد بلغ ما قيمته مليونين من الدنانير (٢). ومع ذلك فان ما وصلنا من حلي يرجع

إلى العصر العباسي بشكل عام قليل جدا والسبب في ذلك يعود الى ان معظم انواع الحلبي وكما هي عليه اليوم. يصنع من الذهب أو الفضة المعرض دوما الى الكسر واعادة الصياغة. لقد كشفت الحفائر الأثرية التي جرت في العراق ومصر وايران عن من من الاقراط بعضها يرجع الى الفترة الزمنية المحصورة بين القرنين الخامس والسابع الهجري (١١) - (١٣م)، وهي على نوعين: نوع بسيط لا يزيد عن حلقة من ذهب أو فضة تثبت في اسفل شحمة الأذن، ونوع منطور تزيينه ضروب مختلفة من التفريعات النباتية والزخارف الهندسية. منها اقراط هلالية الشكل عثر عليها في حفائر الفطاط بمصر ترجع الى القرن الخامس أو السادس الهجري (١) قوام زخارفها تفريعات دقيقة نباتية تعتمد على المراوح النخيلية أو الأوراق الكاسية، ومن زخارفها ايضا صف من البروزات نصف الكروية تحيط بالقرط من جوانبه المختلفة باستثناء الجزء العلوي منه. كما كشفت الحفائر في مصر ايضا عن اقراط جزؤها السفلي (المندلي) في شكل نصف قرص تزيينه زخارف مفرغة نافذة قوامها مراوحتيلية خماسية الفصوص، يحيط بها شريط من دوائر صغيرة مفرغة ايضا والقرط منسوب إلى القرن الخامس الهجري (١١م) (٢)

وفي المتحف العراقي مجموعة جيدة من الاقراط يتشابه بعضها مع الاقراط المكتشفة في حفائر الفسطاط، سواء كان ذلك في الشكل ام في الزخرفة منها قرط هلالى الشكل في داخله تجويف ربما كان يستخدم في وضع الطيب، وتعتمد زخارفه ايضا على التفريعات النباتية اضافة الى شريط من البروزات نصف الكروية تشبه تماما الاشرطة التي تحلي الاقراط المصرية التي ترجع الى القرن الخامس والسادس الهجري. وعلى ذلك يمكننا ان تورخ اقراط المتحف العراقي التي تتشابه مع الاقراط المصرية تلك الى نفس الحقبة الزمنية. ويضم المتحف العراقي ايضا انواعا أخرى من الاقراط قد ترجع الى العصر العباسي ايضا منها قرط من البرونز قوامه سلك معدني يضم قسمه السهلي (المندلي ثلاث كرات صغيرة متساوية في الحجم ومنها افراط ذهب

اكتشفت في موقع (قره تية من محافظة التأميم قوامها حلقة كبيرة نسبيا يتدلى منها سلك قصير نظمت فيه لؤلؤة متوسطة الحجم وقطعة من حجر اللازورد ثم كرة ذهب صغيرة. أما بالنسبة الى الاقراط الممثلة في الرسوم الجدارية وتزاويق المخطوطات والتحف الأخرى التي ترجع الى العصر العباسي فمتنوعة وكثيرة جدا ولا يسعنا المجال في هذا البحث التطرق الا الى عدد محدود جدا منها. فمن اقدم رسوم الاقراط التي ترجع الى العصر العباسي ما نلاحظه في رسم راقصني سامراء الشهيرتين والذي قوامه حلقة تثبت في الاذن يتدلى منها سلك قصير منضودة فيه حبة كروية صغيرة تليها حبة أكبر منها بيضوية مدببة. وتزودنا تزاويق المخطوطات بأشكال مختلفة ومتنوعة من الاقراط لا يتسع المجال في هذا البحث أن نتطرق الا الى القليل جدا منها أن من ابط تلك الاقراط حلقة هلالية الشكل غليظة في جزئها السفلي المتدلي ورفيعة في جزئها العلوي ومن الاقراط المتطورة واحد قوامه حلقة كبيرة يتدلى منه ثلاثة اسلاك ينتهي كل واحد منها بلؤلؤة كروية الشكل (شكل ١٦٣)

اما القلائد فقد عرفت منها في العصر العباسي انواع مختلفة. فتشير المصادر التاريخية الى انواع نفيسة من المخانق منها مخنقة ثمينة جدا كانت في حوزة إحدى المغنيات المشهورات يصفها الأصفهاني بأن قوامها سلسلة تتوسطها درة كبيرة بحجم بيضة العصفور، عن يمينها ويسارها اربع ياقونات واربع زمردات بينها شفرة ذهب وقد طيب باقي المخلقة بغالية (١) والمعتقد ان المقصود بذلك هو جعل الطيب في شكل كرات صغيرة مثقوبة تنصد في المخلقة بين الاحجار الكريمة ومن المخانق المشهورة في التاريخ أيضا تلك التي ارسل بها السلطان طغر ليك إلى زوجته ابنة الخليفة القائم بأمر الله (٢٢) - ٤٦٧ - ١٠٣١ - ١٠٧٥م) في حدود سنة ١٥٠ هجرية وهي تخنقة

باللؤلؤ (١) وفي رسوم المتمنمات التي وصلتنا من العصر العباسي بعض المخانق التي تشبه هذه المخلقة من حيث الوصف.

ومن حلي الرقبة الأخرى التي مثلت كثيرا في رسوم العصر العباسي الاطواق وهي على انواع مختلفة بعضها غليظ وبعضها مرصع بالاحجار الكريمة، كما يتوسط البعض الآخر منها حلية صغيرة كروية أو بيضوية. وقوام بعضها سلك متوسط السمك تلتصق به او تتدلى منه احجار كريمة كروية الشكل ربما المقصود بها لألى شكل (١٦٤) غير ان غالبية الاطواق المستعملة في العصر العباسي من النوع المبروم او من النوع البسيط الحالي من الزخرفة وغير المنضد بالاحجار الكريمة.

ومن حلي الرقبة الأخرى الممثلة في تزاويق المخطوطات العقد الطويل المعروف بالمرسلة. هذا وفي المتاحف العالمية مجاميع كبيرة من خمرات الذهب والفضة والاحجار الكريمة المنوعة والتي كانت بلا ريب اجزاء لانواع مختلفة من العقود وغيرها من الحلي بعضها غريب في شكله. ويضم المتحف العراقي عدداً غير قليل من تلك الاحجار منها مجموعة من الاحجار المزدوجة والملية في طرفيها بصفائح الذهب عندها سنة كانت تشكل في الأصل نوعا من انواع القلائد ربما تعود الى العصر العباسي. وفي المتحف العراقي ايضا مجموعة من الدلايات المختلفة الاشكال والانواع بعضها من خرف وبعضها من زجاج والكثير منها ذهبية وفضية ان من اهم تلك الدلايات واحدة من ذهب ذات شكل هلالى قوام زخارفها تفريحات نباتية محورة عن الطبيعة تنسب إلى القرن الخامس الهجري (شكل ١٦٥) (٢) واذا تركنا حلي الرقبة والصدر وانتقلنا إلى الخواتيم التي ترجع الى العصر العباسي نجد ان في المتاحف العالمية ومنها المتحف العراقي مجاميع كبيرة منها ولا شك ان الكثير من تلك الخواتيم يرجع إلى العصر العباسي، غير أنه ليس لدينا من الدلائل الأثرية ما ييحملنا على الحزم بانها

عباسية. ومهما يكن من أمر فان الخواتيم الاسلامية التي وصلتنا على نوعين.

النوع الأول هو البسيط وهو اشبه بالحلقة والذي كان يسمى بـ الفتحة او الحلق والنوع الثاني الخواتيم المزينة بالفصوص المختلفة.

ومن الخواتيم المهمة في المتحف العراقي ثلاثة من ذهب عثر عليها في حفائر مدينة واسط، اثنان منها متشابهان تماما يتوسط كل واحد منها قرص من ذهب ثبت في وسطه فص صغير من الفيروز (شفر) تحيط به زخرفة شبه كتابية .

اما في الرسوم التي ترجع الى العصر العباسي فهناك اشكال وضروب متنوعة من الخواتيم خاصة ما يتعلق منها بأشكال وحجوم فصوصها منها الفصوص التي تتميز بشيء من الاستطالة والتدبيب وهو الشكل الذي عرف في المصادر التاريخية بـ «المنقاره» ويروى انه كان للمتوكل على الله خاتم فيه فص من هذا النوع ومنها البيضوي الكبير المرتفع والذي سمي في بعض المصادر العربية القديمة : «الجل».

ومن الأمور البديهيّة ان تكثر المرأة العربية في العصر العباسي من استعمال الاساور والدمالج والخلاخيل غير انه لم يصل اليها منها الا القليل جدا ويضم متحف الفن الاسلامي بالقااهرة سواراً يتميز بشيء من الغلظ تزيينه تفرّيعات نباتية تغطي كافة اقسامه الظاهرة، ينسبه المختصون في الفنون الاسلامية إلى القرن الخامس أو السادس الهجري (١٠ - ١١م). كما يضم المتحف العراقي ضمن مجاميعه عدداً من اساور الفضة والزجاج اقدمها مجموعة من الاساور الفضية المكتشفة في حفائر مدينة سامراء ترجع إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهي من النوع السيط المبروم ومن الاساور التي ترجع الى سامراء إلى نفس الحقبة الزمنية مجموعة كبيرة من الاساور الزجاجية المهشمة اغلبها ذات لون واحد، قليل منها متعدد الألوان، وهي على العموم من النوع الرفيع بعضها مبروم والقليل منها محب ويضم المتحف العراقي أيضا نوعا من الاساور ذات اطراف سالبة، أي انها تشكل حلقة غير كاملة تستدق كلما اقتربت من بها ينيها السالتين، وتعطي هذه الاساور زخارف نباتية تعتمد على المراوح

التخيلية الثلاثية الفصوص (شكل (١٦٦)). هذا واننا لنجد في بعض الرسوم التي وصلتنا في تزاويق المخطوطات نساء يتحلين بأساور غليظة سالبة الطرفين، وهي في هذا تتشابه مع الاساور المحفوظة في المتحف العراقي والتي مرت الاشارة اليها، منها في رسم سيلة جالسة على كرسي ضمن منمنمة من منمنمات مخطوطة (الكواكب الثابتة المؤرخة في سنة ٤٠٠ هجرية (١٠٠٩ م) والمحفوفة في متحف (بودليان) بأكسفورد وهي المخطوطة التي سبق وأشرنا إليها (شكل (١٦٧)).

ومن الاساور المحفوظة في المتحف العراقي ايضا اساور غليظة تنتهي اطرافها السائبة بقفل تزيينها زخارف هندسية ونباتية نفذت بطريقة القطع المائل BEVELLED STYLE وعلى ذلك فمن المرجح انها ترجع الى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الهجري، وهي الفترة الزمنية التي اشتهرت بهذا النوع من ضروب الزخرفة. وفي تزاويق العصر العباسي ما يشبه هذه الاساور من حيث انها تنتهي باقفال تشبه اقفال الاساور المحفوظة في المتحف العراقي. (شكل (١٦٨)).